

## التمكين المدني في المجتمع العراقي رؤية وصفية في سوسيولوجية

ترميم مدنية الطالب الجامعي لما بعد داعش

جامعة الموصل أنموذجاً

أ.م.د. حسن جاسم راشد \*

تأريخ القبول: ٢٠٢٠/١٠/٢٤

تأريخ التقديم: ٢٠٢٠/٩/٢٦

الكلمات المفتاحية : التمكين ؛ المدنية ؛ الطالب الجامعي

المستخلص:

تعدّ سيطرة جماعات الفكر المتطرف على بعض من أجزاء المجتمع العراقي عمومًا وأهل نينوى خصوصًا بعد حزيران ٢٠١٤ كارثة بحق ، وكانت لجامعة الموصل حصتها من هذه السيطرة الوحشية ، إذ نهبتها وعطلتها بشكل كامل من واجبه العلمي والإنساني المدني وعزلتها بشكل تام عن محيطه الوطني والمحلي وأحرقت خزين ذاكرتها العلمية وحولت بعض اقسامها ومختبراتها الى منطلقات رعب وقتل .

في محور الرؤساءل الجامعي والتعليم لا بدّ من مشاركة بناءة في طرح بعض من الافكار والآليات التي يمكن أن تحد من الفكر والسلوك المتطرف في المجتمع بشكل عام وفي ميدان الجامعة ( الموصل ) بشكل خاص . كيف يمكن بهذه الأهمية مكافحة الفكر المتطرف الذي ستنقى آثاره في المجتمع بشكل عام وفي أفكار بعض الفئات التي هي في عمر الشباب المتعلم بشكل خاص ؟

إنّ لجامعة الموصل العريقة لها إمكانياتها الفكرية والعلمية الهائلة وبالتحديد في مجال وحول كيفية مكافحة الفكر والسلوك المتطرف باقامة العديد من الانشطة داخل أروقة الجامعة مثل الجلسات الحوارية والندوات والمؤتمرات والمحاضرات والأعلام غاية في :  
-تأهيل الطالب من الناحية النفسية .

\* قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

- توجيه الطلاب نحو الإيجابية في موضوع التلاقي مع الآخرين .
- توجيه المجتمع الطلابي في الانضواء تحت عنوان الطالب الجامعي .
- إبعاد الطالب عن التيارات المتطرفة والموجهة بشكل سلبي .

### الاشكالية :

تعدّ سيطرة جماعات الفكر المتطرف ( داعش ) على بعض من أجزاء المجتمع العراقي عموماً وأهل نينوى خصوصاً بعد حزيران ٢٠١٤ كارثة بحق ، وكانت لجامعة الموصل حصتها من هذه السيطرة الوحشية حيث الممارسات ذات الطابع المتخلف وتوجيهات وأوامر قسرية وإجراءات لا تخدم سوى اهدافه المتطرفة ذلك من خلال عزل الجامعة عن محيطه وبشكل كامل وتفكيك البنية العلمية والهيكلية الإدارية واستغلال الرأسمال الاجتماعي من كفاءات علمية وطلاب وتحويلهم الى ادوات لتطبيق افكاره وأجندته غاية في تحقيق اهدافه وعليه فان :

ثمة اشكالية كبيرة حدثت من حيث :

- ١- النتائج المترتبة على ذلك هي العزل الاجتماعي .
  - ٢- التفكيك المجتمعي ومن ثم تلقين الأفكار والثقافات الهجينة على مجتمع الجامعة وخاصة الطلابية منها .
  - ٢- اشكالية مكافحة هذا الفكر من خلال وبالمؤسسة العلمية والتربوية .
- الفجوة الاجتماعية من خلال حصر المجتمع المحلي الى مجتمعات ذا طابع مناطقي من ثم خلق مسافات مكانية وفكرية بينها بين كل التكوينات الاجتماعية العراقية ومجتمع نينوى غير المتجانس المنضوين تحت هوية الطالب الجامعي وعنوانه , ويبين من كانوا تحت ظل سيطرته في المدينة وبين من هم خارج سيطرته

### الأهمية :

في مجال تقصي الحقائق والبحث عن كيفية معالجة الفكر المتطرف من الاهمية ما كان ولزماً علينا كمؤسسة علمية جامعية وتربوية جامعة لكل التكوينات الاجتماعية العراقية وتحت ظل أغلب التخصصات العلمية لا بد أن نكون فاعلين وداعمين لمجتمعنا العراقي عموماً ولمجتمع نينوى بشكل خاص ومهتمين بهوموه .

كذلك من المهم ولا بد أن يكون هناك نقاش واسع من الجميع وبمشاركة الجميع حول الكثير من العوامل التي اثرت وتؤثر الآن حول انتشار الفكر والخطاب والسلوك المتطرف في مجتمعنا ولاسيما في الفترة التي سيطرت جماعاتها على بعض المحافظات ومنها نينوى وكيفية الحد من هذا الخطاب المبتدل الذي أجبر المجتمع للنزول الى مستويات متدنية في الخطاب والسلوك الى جانب أنه لم يكن هذا المستوى الخطابي المبتدل والمشتت لنسيجه يوماً ما من ثقافة ابناؤه وبنات حضارته وأجيال تاريخه .

في محور الرأسمال الجامعي والتعليم من الضروري ان يكون المشاركة بناءة في طرح بعض من الافكار والآليات التي من شأنها أحد من الفكر والسلوك المتطرف في المجتمع بشكل عام وفي ميدان الجامعة ( الموصل ) بشكل خاص .

١- اذن كيف يمكن بهذه الأهمية مكافحة الفكر المتطرف الذي سيبقى آثاره في المجتمع بشكل عام وفي أفكار بعض الفئات التي هي في عمر الشباب المتعلم بشكل خاص ؟

٢- وكيف لنا من طريقة لردم اثار الفجوة الزمنية والمكانية التي انتجت الهوة الفكرية بين تكوينات النسيج الاجتماعي الطلابي غير المتجانس والتي تحولت الى كابوس بفعل التفرقة والتمزيق الذي اصيب به مجتمعهم الأم وأخرى فرقتهم المكان ؟  
الأهداف : نحاول في ورقتنا هذه ان نحقق بما يأتي :

١- إنَّ لجامعة الموصل العريقة لها إمكانياتها الفكرية والعلمية الهائلة وبالتحديد في مجال وحول كيفية مكافحة الفكر والسلوك المتطرف بإقامة العديد من الانشطة والفعاليات داخل وخارج أروقة الجامعة مثل الجلسات الحوارية والندوات والمؤتمرات والمحاضرات والأعلام .

٢- محاولة إيصال الرسالة الإنسانية الى كل المعنيين إن الجامعة كمنبر للتعليم والتربية مازالت قادرة ان تعمل وبحيادية على تنشئة الأجيال الصالحة والسليمة فكرياً وعلى اصحاب القرار ان يدعموا ويسندوا كل الانشطة التي تقوم بها تجاه هذه المشكلة والآفة الخطيرة على المجتمع .

٣- ومحاولة إلقاء الضوء على ماهية الإشكالات الحاصلة في المؤسسة الجامعية بعد سيطرة القوى المتطرفة على نينوى والمساهمة في إمكانية وضع بعض الحلول بآليات

مناسبة وضرورة خلق التعاون مع أصحاب القرار في الحكومة المحلية والمركزية ومن يهتم ويفتش عن الحلول المناسبة لمحاربة هذا الفكر المتطرف .

٤- الوصول الى آليات إعادة ادماج الطالب الجامعي ضمن المنظومة الثقافية الجامعية والمجتمعية الوطنية العراقية والمحلية والمحلية لنيوى بعد ما أصابها بعضاً من الاختلال بمقترح آليات مناسبة والواقع الثقافي العراقي .

منهجية البحث :

وصفية وتحليلية للظاهرة انثربولوجيا سياسيا من خلال المعاشة الميدانية واستنتاجيه لجانبنا من الحلول .

مكان البحث :

ونحن في زمن النزوح ادارة جامعة وكليات واقسام علمية انسانية مثل علم الاجتماع والنفس والاقتصاد والسياسة ,, الخ راودتنا الكثير من الاراء العلمية والافكار التطبيقية لمعالجة العديد من الظواهر الاجتماعية وردود الافعال حول نتائج سيطرة الجماعات ذات الفكر المتطرف على مدننا ومؤسساتها ومجتمعاتها وكتبت بحوث كثيرة وطرحت اراء عديدة من خلال الندوات والمؤتمرات والورش العلمية لتدارك الامر الخطير الذي حل بنا ,, لقد جاء فكرة البحث هذه وترجمته الى برنامج تبنته رئاسة الجامعة ودعمته العديد من المنظمات غير الحكومية لتكون خارطة طريق اولية لمكافحة الفكر المتطرف في المجتمع العراقي عموما ومحافظة نينوى بشكل خاص من خلال مؤسسة الجامعة والتربية في هذه المحافظة .

مفاهيم اساسية ذات العلاقة :

ان سياقات بحثنا تدور حول التطرف والخشية من انجراف بعض من الفئات الاجتماعية الى هذا الفكر المتعصب والمتطرف وخاصة تلك الفئة الشبابية التي تعيش داخل المؤسسة الجامعية , فان عنوان وموضوع الدراسة هذه يدفعنا الى توضيح بعض من المفاهيم ذات العلاقة وكما يلي :

الجامعة : هي مؤسسة علمية مستقلة ذات هيكل تنظيمي معين وانظمة اكااديمية معينة تتمثل وظائفها الاساسية في التعليم العالي والبحث العلمي وخدمة المجتمع<sup>(١)</sup> وفي بحثنا يمكن تعريف الجامعة على انها : المؤسسة العلمية الفكرية والثقافية الجامعة لكل مكونات المجتمع العراقي بشكل عام ومجتمع نينوى بشكل خاص ذات التكوين الاجتماعي غير المتجانس ثقافيا تحت مسمى علمية وتربوية كطالب جامعي .

١. التطرف : يقصد به مخافة الشرع سواء كان باسم الدين او القومية او العلمانية او الماركسية<sup>(٢)</sup>.

. فالتطرف اجرائيا : هو كل ما تفرضه الجماعات المتشددة افكارا ثقافيا وسلوكيات قاسية الوحشية على مجتمع معين اصبحت من عوامه حديثا وخاصة تلك الفئات الشبابية والفتية غاية لتحقيق اهدافه العقائدية .

٢. المجتمع كما يرى او كست كونت : مجموعة من افراد ومجاميع تربطهم علاقات متبادلة , وهي حصيلة تجربة وان المجتمع يتكون من الافراد الاحياء ,,, وان المجتمع مكون من حصيلة تجربة ومن مجموعة معارف ومن محتوى هذه المجموعات من المعارف الفكرية والروحية الموضوعية لتجميع وتربط هذه الفكرة الاجيال الواحد بالآخر<sup>(٣)</sup>. وعليه يعرف المجتمع اجرائيا : مجموعة الافراد الذين يعيشون في بقعة جغرافية محددة يجمعهم معتقدات قيمة متنوعة ضمن اطار ديني متعدد وافكار في اطار وضعي عرفيا منفق عليها بالشكل الذي يحقق لهم التعايش والسلم المجتمعي .

(١) علي هود باعباد , الامين العام المساعد لاتحاد الجامعات العربية, دور الجامعات والمؤسسات التربوية والثقافية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي , المؤتمر العام حول تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي , القاهرة , ص ٧ .

(٢) علي هود باعباد ,,, مصدر السابق ص ٧ .

(٣) جاستون برتول , تاريخ علم الاجتماع , ترجمة غنيم عبدول , الدار القومية للطباعة والنشر, مكان وسنة الطبع ( بلا ) ص ٧٢.

٣. التمكين : لغة هو التقوية والتعزيز وهو منح القوة والمعلومات والمعرفة وحمايتهم في الحالات الطارئة وغير المتوقعة<sup>(١)</sup>. اما التمكين اصطلاحاً وهو من المصطلحات المتداولة حديثاً وحسب تصور مورال ومرديث : العملية التي يتم فيها تمكين الشخص ليتولى القيام بمسؤوليات اكبر من خلال التدريب والثقة والدعم العاطفي<sup>(٢)</sup>.

وعليه يعرف التمكين على انه تعزيز الافكار البناءة في شخصية الفرد بالشكل الذي يعزز ويقوي افكاره ذات الطابع الاعتدالي التي تنتج سلوكيات مدنية وسلمية مجتمعية. المدني : اسم خاص مقترن بالمواطن ومجتمع المواطنين منسوب الى المدينة , والمدني نمط من السلوك يكتسبه من بيئته الاجتماعية والايكولوجية ومن خلال التنشئة والتربية المدنية المعتمدة على الثقافة والروح المدنية وقيم المواطنة السليمة المعتمدة على الاعتراف بمبادئ وحرية الفكر والعقيدة والتعبير عن الراي<sup>(٣)</sup> .

اما التمكين المدني استنتاجاً فهو اعادة وتنشئة وتربية الفرد على الثقافة المدنية من خلال المؤسسات الرسمية والغير رسمية بالشكل الذي نعيده الى اطار المواطنة وقيمه والسلوك المدني .

ان رأس المال الجامعي في احد جوانبه المهمة هدفاً وغاية هو الطالب الجامعي ( ذكورا واناثاً ) واو الطلبة وهذه الفئة الاجتماعية والعلمية والتربوية تنحصر في الفئة العمرية من ١٨ الى ٢٩ سنة وهذه الفئة العمرية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعمر الشباب وعليه فان : الشباب تمكينياً في بحثنا هذا :

هي الفترة التي تبدأ عندما يحاول المجتمع تأهيل شخص لكي يحتل مكانة اجتماعية يؤدي دوراً بارزاً في بنائه وتنتهي حينما يتمكن الفرد من احتلال مكانته واداء دوره في

(١) عبدالعزيز مازن , التمكين الذاتي خطوة نحو التمكين المؤسساتي , الاردن , عمان ٢٠٠٦ م , ص ١

(٢) K.L.Murrall,and Mardith – Epowring EmployeeNewyork\_Mc graw\_Hill \_ p.110

(٣) انظر: دون أي , ايبيرلي , بناء مجتمع من المواطنين , المجتمع المدني في القرن الحادي والعشرين , ترجمة هشام عبد الله , الاهلية للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠٠٣ م .

السياق الاجتماعي وفقا لمعايير التفاعل الاجتماعي<sup>(١)</sup> اما الطالب الجامعي يمكن تعريفه اكاڤيميا هو :

المتلقي او المرسل اليه الذي يسعى كل من الاستاذ وواضع المناهج الى مخاطبته والتاثير فيه باتجاه معين وفي زمن محدد وبكيفية وخطه مرسومة بغية تحقيق اهداف مقصودة<sup>(٢)</sup>.

بمعنى ان الطالب : هو الذي يتلقى دروس ومحاضرات والتدريب على كيفية الحصول على المعلومات من مؤسسة التعليم العالي على شهادة جامعية<sup>(٣)</sup>.

ان ربط الشباب وبوجودهم في الجامعة كطلبة جامعيين وحسب سياقات ومتطلبات بحثنا هذا يقودنا الى القول بانهم اجرائيا : الذين تتحصر اعمارهم بين ١٨ \_ ٢٩ سنة تميزهم الحيوية والنشاط والقابلية على النمو العقلي والجسمي والاجتماعي , ولهم القدرة على التعلم والمرونة العالية في التواصل ويمكن اعتبارهم طاقة بشرية او راس مال بشري يعتمد عليهم في تنمية المجتمع

كونهم طلبة جامعيين يتلقون تكوينا يؤهلهم لممارسة ادوارهم الاجتماعية حاضرا ومستقبلا .<sup>(٤)</sup>

اولا : أهمية المؤسسة الجامعية لدى مجتمع في نينوى :

تعّد المؤسسة التعليمية بالنسبة لمجتمع نينوى عموما والمجتمع الموصل بشكل خاص إحدى أهم المؤسسات الرسمية والاجتماعية وركيزته المدنية وتقدمه وتطوره , وهي

(١) ماهر ابو المعاطي واخرون , الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية في المجال العلمي ورعاية الشباب , ط٢ , مركز توزيع الكتاب الجامعي , جامعة حلوان , ٢٠٠١ م , ص٧٣ .

(٢) حارث عبود واخرون , الاتصال التربوي , ط١ , دار النشر والتوزيع , عمان , ٢٠٠٩ م .

(٣) مصادر المعلومات ودورها في تكوين الطب الجامعي وتنمية ميوله القرائية دراسة ميدانية في جامعة منتوري , قسنطينة , اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة من قبل الطالب مزيش مصطفى الى مجلس كلية العلوم الانسانية , جامعة منتوري , قسنطينة للسنة الدراسية الجامعية ٢٠٠٨ \_ ٢٠٠٩ م ص٢٤ .

(٤) مشكلات الشباب الاجتماعية في ضوء المتغيرات الاجتماعية الراهنة دراسة ميدانية , اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة من قبل الطالب يزيد عباس الى مجلس كلية العلوم الانسانية , جامعة محمد خضير للسنة الجامعية ٢٠١٥ \_ ٢٠١٦ م ص١٥ .

نتاج المجتمع الحضاري الفكري والتربوي الأخلاقي المتمدن ويمكن عرض جانبها من هذه الأهمية وكما يلي :

- ١- للجامعة مكانتها المرموقة في المجتمع العراقي ولها خصوصية متميزة في عقول ونفوس مجتمع نينوى ومركزه الموصل مدينة التفكير والعلماء .
- ٢- المكانة الاعتبارية وممكن فكر ابناء المحافظة ومركز انطلاقتهم نحو الحياة وديمومة الحياة واستدامة تنميتها .
- ٣- تعدّ المؤسسة الجامعية في نينوى إحدى أهم المؤسسات الاجتماعية كونها وليدة مجتمعه وامتداد التاريخي والحضاري لها ,
- ٤- هي بالوقت نفسه الامتداد الطبيعي للمجتمع من حيث التكوين والأداء على طول تاريخه الاجتماعي والتنوع الفكري الحديث .

ثانيا : المؤسسة الجامعية صورة مجتمع نينوى المصغرة :

تعدّ الجامعة اجتماعيا هي الامتداد الطبيعي للمجتمع من حيث العلاقة والواجبات وما يصيب المجتمع وبشكليه الإيجابي والسلبي ينعكس ذلك طبيعياً على المؤسسة الجامعي وباختصار :

١. إنّها جامعة لكل التكوينات الاجتماعية وبكل مسمياتها وبالشكل الذي يتركون هذه الانتماءات خارج المؤسسة لينخرطوا تحت المسميات الإدارية ويندمجوا في تعليماتها ويلتزموا بضوابطها المهنية دون الاكتراث الى هذه الانتماءات اللاتجانسيه .  
إنّ الطالب كعنوان وهوية في المؤسسة الجامعية هو جمع اللا متجانسين بالشكل الذي تحقق الوطنية وهويتها الجامعة وتتجلى فيه المعادلة الحقوقية لكل دون تمييز في حق التعلم وفي الوقت نفسه تحقيق ضمني لمبادئ حقوق الإنسان بالتعلم والتوظيف والمواطنة..... الخ .

٢. تعدّ الأساس الأرتكازي للمجتمع من الناحية التربوية والعلمية , من خلالها **تمر** الأجيال ويتأطرون ويحملون فلسفته العلمية والتربوية الى ميادين الحياة الرسمية والاجتماعية .





الضيقة / الآنية / الطائفية الجديدة من ثم الأنا والآخر فيها على المستوى الضيق بين التشكيلات الاجتماعية المتنوعة , وهذه السياسات امتدت الى المؤسسة الجامعية والتربوية لتأخذ نصيبها من التفكيك والتفتيت , جاء ذلك بعد ان كانت العراقية هي ( الأنا ) الأهم ولهم جميعاً على المستوى الوطني ، والأنا على المستوى المحلي (١) .

ان احتلال أي بلد يترتب عليه تداعيات كبيرة كارثية بالتالي يشكل الانطلاق الى تدمير وانهايار مجتمعاتها

من حيث تفكيك وهدم قيمها الاجتماعية بكل مسمياتها ومنها ثقافتها المبنية على مد عصوره التاريخية من

خلال تقديمه بدائل عنها في التحول الى الة جديدة وبالشكل الذي تجعل هذه المجتمعات مفككة وركيكة في

بنيتها الاجتماعية والمؤسساتية بالتالي تتعطل فيها هذه البنى الاجتماعية , وهذه بحد ذاته الاحتلال الاعمق

للمجتمع والسيطرة عليه من الداخل واحدى اهم كوارثه تمزيق هوية هذا البلد وانهايار ثقافته المنطلقة من

منظومته القيمية (٢) وما كان من ضمن هذه التداعيات والتحديات التي اعقت احتلال العراق التحدي

الثقافي العلمي والتربوي الجامعي لتأخذ هذه المؤسسة حصتها من التغيرات غير المنظمة والتي حاولت

الاحتلال نشر الفوضى فيها من خلال الصدمة التي تعرضت اليها حيث النهب والسلب لموجوداتها على

العلن وجعلها في مستوى مبتذل علميا وانسانيا واستباحة باحاتها واروقتها العلمية والمكتبية من ثم

(١) معايشة الباحث ورصده للظاهرة ميدانيا .

(٢) معايشة الباحث ورصده للظاهرة ميدانيا .

تقديمها بشكل هش امام طلبتها من خلال فتح العديد من القنوات الفكرية الهدامة وزرع مفهوم الهوية

المحلية بديلا عن هويتها وطنيتها كطالب جامع للهويات المحلية . بالتالي فان عمق الهوية ومنطقه

العراقي جاءت لتقف سدا منيعا محاولا الوقوف امام هذا السيل الجارف من التفكيك من خلال نهجا

ميكانزميا للدفاع عن وجودها الوطني والمحلي ومحاولة استرجاع الذي كان قبل الاحتلال ....

رابعا : نهج جامعة الموصل الميكانزمي ( حماية الذات الجامعية العلمية والمهنية ) بعد ٢٠٠٣ م :

إنّ المؤسسة التعليمية نالت حصتها من الدمار ايضا وبضمنها الجامعات العراقية عموماً وجامعة الموصل بشكل خاص حيث النهب والسلب لمحتوياتها في ٢٠٠٣ م وهجرة الكوادر العلمية منها واللا استقرار لمجتمعه الأكاديمي وذبذبة تشكيلاته الطلابية الجامعية من حيث التكوين والانضواء تحت عنوان الطالب الجامعي من كل التكوينات الاجتماعية المتنوعة والحاضنة لكل ابناء المناطق العراقية من شماله وجنوبه ومن شرقه وغربه ومن البادية والريف والحضر ,

أنّ الجامعة في هذه الفترة العسوية استطاعت ان تعيد نفسها من جديد واختارت طريقها بان تكون بعيدة عن كل التقلبات والتذبذبات التي كانت تحصل خارج الجامعة وعملت باتجاه :

- ١- تحقيق الهدف الاسمي وبعيدة المدى الا وهو التعليم .
- ٢- أبعدت كل التيارات السياسية ومنعت شخوصها من محاولة خرقها والدخول اليها لمآربها الحزبية .
- ٣- حيدت رأسمالها الاجتماعي ( الطلاب ) من الانخراط بسياسات الاحزاب العاملة في الساحة وبالشكل الذي حقق نسبة لا باس بها من الطمأنينة بين طلبته الذين هم من مختلف التكوينات الاجتماعية والثقافية .

٤- إن جامعة الموصل ومن خلال سميتها الاكاديمية ومهنية منتسبيها وإدارتها العلمية الحيادية تمكنت ان يبني جمعاً فكرياً وثقافياً قوياً بين منتسبيه نحو الابتعاد عن كل التيارات السياسية وأفعالها ذات المدى القصير وفي

٥- أهدافها الخاصة ، ورسنت مداخلها بقيود جامعية وبالشكل الذي اتاح لأروقتها وقاعاته الدراسية ومختبراتها العلمية ان تستمر بشكليه العلمي والمهني الجامعي.

٦- بالتالي فان المهنية العلمية والاجتماعية المدنية باتت هي السمة الغالبة لدى المنتسبين والطلاب والهوية الجامعية والوطنية العراقية هي الاطار الاعم في ظرف سادت فيه فرض التوقع ومحاولة حصر الانتماءات في اطار الهويات الضيقة التي سببتها السياسات المتبعة انذاك في المجتمع العراقي عموماً وفي مجتمع نينوى بشكل خاص .

خامساً:ثقافة وسلوكيات شاذة عن نينوى الجامعية بعد حزيران ٢٠١٤ م : ( اذ بان سيطرة جماعات الفكر المتطرف )

إنَّ الأحداث المؤلمة التي مرّت به العراق وبضمنها محافظة نينوى بشكل خاص تلك الفترة التي تلت أحداث حزيران ٢٠١٤ م عندما سيطرت الجماعات المتطرفة والمتشددة على نينوى ومركزها الموصل لا يمكن وصفها الى درجة الاستحالة حيث الافكار والثقافات التشددية والسلوكيات الارهابية من تشريد وسبي وقتل في الوصف بسبب مدى وقوة التفكيك والتخريب الذي طالت المحافظة وبنائها المادية , المؤسساتية , الاجتماعية , والثقافية وما زادت المشكلة تعقيداً أكثر هي مد الجماعات الهمجية المتخلفة اكثر فاكثر لمساحات شاسعة من الاراضي ولمدن عديدة من المجتمع العراقي لتستقوي اكثر ولتستكمل التفكيك بشكل أكثر شراسة .

سوسيولوجيا يمكننا وفي مقارنة علمية لوصف هذا التنظيم المتطرف بنيويا داخليا فأن اقرب نظرية في علم الاجتماع هي نظرية البناء الاجتماعي لروبرت ميرتون (١) اقرب ما

---

(١) انظر : رسمية عبدالرحمن حنون و ليلي رشيد البيطار , رؤية عينة من طلبة الجامعات الفلسطينية لظاهرة الارهاب(دراسة نفسية استطلاعية ) ورقة بحثية مقدمة الى مؤتمر جامعة الحسين بن طلال الدولي (الارهاب في العصر الرقمي ) معان , البتراء , عمان , الاردن ص ١٠ .

يكون الى تفسير بنية التنظيم المتطرف بالتالي تفسر اغلب جوانب الضغوطات التي مارستها اصحاب الفكر المتطرف على المجتمع العراقي وبنيتها الاجتماعية والمؤسسية منطلقين من بنية هذا التنظيم هي نظرية البناء الاجتماعي .

ان ايمان هؤلاء بمعتقدهم وفكرهم المتطرف الى درجة الانتحار هدفها محاولة الكشف عن أثر الضغوط التي يمارسها البناء الاجتماعي على الأشخاص في المجتمع ، ودرجة تكيف الفرد للمتطلبات الاجتماعية الثقافية بحيث يؤدي الامتثال إلى السلوك المنحرف . وتعتمد هذه النظرية على الأسس الثلاث الآتية:

(ا) الطموحات أو الأهداف التي يتلقاها الأفراد ويؤمنون بها من خلال الثقافة التي يعيشون فيها. فثقافة التنظيم اعتمد القيم الاجتماعية اساسا منطلقين من الدين كغطاء لفلسفتهم وايدولوجيتهم .

(ب) المعايير الاجتماعية التي تحكم مسيرة الأفراد في تحقيق طموحاتهم . ان الوسائل واليات التشدد وعيار التمسك بها حد الانتحار وما ورائها من وعود غير دنيوية كانت اقوى التشدد والتطرف .

(ج) الوسائل المؤسسية التي يهيؤها المجتمع لأفراده من خلال جميع مؤسساته لتحقيق أهدافهم وطموحاتهم<sup>(١)</sup>. (١٦) بمعنى :

ان ايمان هذه الفئة المتشددة بفكره وعقيدته المقفلة بنويا هدفه ارهاب المجتمع فكريا والذي يهدف إلى محو الفكر والثقافة القائمة وعكس فكر جديد ( الإرهاب الثقافي واللغوي) وتمارسه لمواجهة الذين اصبحوا تحت سيطرته وما اسموه الرعية او العوام ، وشحنهم ضد غيرهم الذين خارج سيطرته . كما تهدف إلى كبت وإخماد الأصوات المعارضة داخليا وخارجيا ، ثم فرض حدود لا ينبغي تجاوزها عند التعبير عن الرأي في مختلف القضايا ، ثم فرض نمط معين من الثقافة على عقول ووعي الرعية ثم الوصول إلى درجة عالية من الرقابة على الفكر وتوجيهه الوجهة التي تتماشى مع أهداف التنظيم وتوجهاته من خلال برامج تربية دينية عقائدية متطرفة التخصص ، بالشكل الذي صبغ

(١) ١. رسمية عبدالرحمن حنون و ليلي رشيد البيطار ،،، مصدر سابق ص ١١ .

برامجه الفكرية والتعليمية الصبغة الفكرية الدينية للتنظيم ، والتنشئة التطرفية على وجه يتماشى مع أهداف التنظيم<sup>(١)</sup>.

تلكم الحال نفسه الذي أصاب المؤسسة التعليمية صميم العقل والثقافة المجتمعية والداركين اكثر لوجهة ونوعية ثقافتهم واهدافهم , كذلك كون هذه الفئة المتقفة الاكثر وعيا من الفئات الاجتماعية الاخرى بالتالي فان مؤسسة الجامعة بكل تكويناتها التكوينية والوظيفية وكوادرها وراس مالها البشري والديموغرافي القادم من الطلبة فكان التوجه الى الجامعة قويا بالشكل الذي حاولت تحويل هذه المؤسسة من مقامها المتقدم في عقلية و ضمير مجتمعه ووجهته الاولية الى مستويات متدنية مكانيا وفكريا وثقافيا , وفيما يلي لمحة سريعة ومختصرة لجانب من هذه الظواهر الوحشية والسلوكيات والشاذة والتي اصابت الجامعة خلال سيطرة الجماعات المتطرفة وعليها :

يمكن حصرها على جانبين وكما يلي :

-الاول بنيوي مادي من خلال :

١. تحويل الجامعة ببنيته الضخمة الى مرتع لجماعاتها .
٢. ازالة قدسيته المكانية وجعلها مستباحا للجميع الى درجة ابتذالها بادخال الحيوانات الى مساحاتها المكانية العلمية وصروحها وعناوين كلياتها واقسامها العلمية .
٣. تدمير المستطاع منها ونهب الممتلكات العامة الموجودة غاية في ازلتها نهائيا من الاعين لمحوها بالتالي من فكر وذاكرة ابناء المدينة والمحافظة . حيث تقدر التدمير في بنيتها العامة اكثر من ٧٠ بالمائة .

-الثاني بنيوي فكري ثقافي

وهذا الجانب هو الاكثر قصدا والاضر في الحياة الجامعية من حيث الاستمالة والشذوذ الثقافي حيث :

(١) التقارير السنوية التي تصدرها وكالة حق الاخبارية لانتهاكات حقوق الانسان في العراق للاعوام من

٢٠٠٦ \_ ٢٠٠٩ م : متاح في الرابط : : <http://iswy.co/ev1rr>

١. إنَّ دعاة ومنفذي الفكر المتطرف ركزوا على المؤسسة التعليمية وهم على دراية بأنَّ نتاجها من الأفراد المتأثرين بفكرهم المتطرف سيعكس بظلاله مستقبلاً على المجتمع لاسيماً إذا اعتلوا المناصب المهمة في المجتمع بشكليه الرسمي غير الرسمي إذ التأثير على الآخرين بشكل لا يمكن السيطرة على هذه الأفكار وستنتشر بشكل أشبه ما يكون بانتشار السرطان في البدن السليم .

٢. إنَّ ما حدث من انحرافات سلوكية وإجرامية وظواهر سلبية في نينوى إنّما هي نتاج واقع سببه غياب المؤسسة الرسمية وغياب التوجيه والرقابة الاجتماعية لانفراط عقد سيطرتها وتوجيهها سواء كانت الرسمية منها وغير الرسمية على حد سواء , ولاسيماً لدى فئة الأعمار الشبابية من الذين يشملهم التربية والتعليم الذين ركز عليهم الجماعات المتطرفة , هؤلاء بحاجة ماسة الى التنوير الفكري والتربوي والثقافي الاجتماعي .

٣. ان احدى اهم الادوات الفكرية التي انتهجها تطرفيا لهذا التنظيم المتطرف اتجاه الطالب الجامعي هي محاولة مسح ذاكرته الحضارية من خلال ضرب الرموز التاريخية في المحافظة وخاصة التي تتقاطع مع ايدولوجيتها الدينية المزعومة بتدمير الرموز الدينية من مزارات وجوامع تاريخية بدأت من مرقد النبي يونس عليه السلام وانتهت بالجامع النوري ومزارتها الحدياء .

٤. إنَّ إحدى أهم أسباب هذه السلوكيات والتفكير السلبي الشاذ غياب الجامعة عن الفئات الطلابية الذين بقوا في مدينة الموصل في ظل انتشار الفكر المتطرف ذلك لعدم وجود ضابط ومراقب ومتابع لهذه الفئة المتعلمة ؛ لذا غاب صمّام الأمان والإنذار المبكر عن هذه الظواهر السلبية .

٥. فك ارتباط التنوع الاجتماعي المتماسك عن بعضه البعض وبالبعوض والكراهية بأساليب وحشية متمثلة بالقتل والتهجير والسلب والنهب , ممّا انعكس الصورة نفسه سلبيًا على المؤسسة التعليمية ، إذ فكّ ارتباط الفرد بوصف طالبًا من النسيج التربوي والتعليمي المكون من اللاتجانسية الى التجانسية واختصارها لفئة اجتماعية واحدة والتي تخدم أجندة الفكر المتطرف .

٦. تغيير ايدولوجية التعليم من الوطني إلى الديني المتطرف .

٧. تغيير مناهج ووسائل التعليم وما يناسب أهدافه .

٨. خلق فجوة مابين الأجيال الفتية والشبابية الذين تحت سيطرته مع من هم خارج سيطرته من المجتمع نفسه .

٩. تلقين هذه الفئات العمرية الناشئة على ثقافة التطرف والعنف والقتل .

١٠. إن السلوكيات الشاذة التي انتشرت في المجتمع لا بد أن تعكس ظلها على المؤسسة العلمية والتربوية ولاسيما الجامعة في المجتمعات المحلية ؛ لذا فإن المؤسسة هذه أصبحت امام أمام تحديات خارجة عن سيطرتها المهنية والإدارية .

١١. إن سنوات خلت تحت ظل التطرف الفكري هذا لا بد أن تركت آثارها السلبية في نفوس الأفراد عموماً والذوات من الأعمار الناشئة الشبابية خصوصاً .

١٢. بروز ظواهر اجتماعية سلبية كثيرة ومتنوعة لا يمكن حصرها ستظهر للعيان في المجتمع مستقبلا غير معهودة عليها من قبل نتيجة الفراغ الذي حلت بمجتمع نينوى ولاسيما في المؤسسة التعليمية . ( انوه هنا الى ان الدور حصر بيد اسر وعوائل هؤلاء الشباب فقط ) .

سادسا : نتائج البحث :

ان الممارسات الشاذة التي انتجت نوعا من الواقع المرفوض جملة وتفصيلا من مجتمع نينوى , الا ان التنظيم اجبر المجتمع ونفذ جانبنا من مخططه على الجامعة :

١- إذ نهبتها وعطلتها بشكل كامل من واجبه العلمي والإنساني المدني .

٢- عزلتها بشكل تام عن محيطه الوطني والمحلي.

٣- أحرقت خزيرين ذاكرتها العلمية وحولت بعض اقسامها ومختبراتها الى منطلقات رعب وقتل .

٤- حاولت تحويل رأسمال الجامعة الاجتماعي من الكفاءات العلمية الى أداة لتطبيق أفكاره المتقاطعة مع أفكار هذه الكفاءات .

٥- حاول خلق فجوة بين من هم تحت سيطرته داخل المدينة من الكفاءات العلمية والطلاب وبين من هم خارجه .

٦- شنت الجمع الطلابي إلى فئات علمية ذات طابع جنسي بفصل الذكور عن الاناث .



- ٧- إلغاء كليات وأقسام ، وإبقاء أخرى بحسب متطلبات وتوجهات ايدولوجيته .
- ٨- محاولة تلقين المسيطر عليه لثقافته بالقوة والتركيز عليهم بشكل كبير ومحاولة استدراجهم نحو فكره بطرائق شتى كونهم الأكثر تأثرا وتأثيرا واندفاعا في وعلى المجتمع ذلك بحكم فئتهم العمرية الفاعلة والناشطة في الحياة .
- ٩- ألغت السمة الجامعية للطالب الجامعي كهويةً جامعةً لكل الفئات واختصرتها لفئة اجتماعية واحدة تقريبا .

سابعاً : المقترحات كحلول : ان الوضع الذي كان سائداً قبل سيطرة الجماعات المتطرفة على نينوى وان كانت على موعد مع الخطر الكبير المحقق والتذبذب السياسي كانت الجامعة في وضع يمكن القول عنه كأقل تقدير بأنه فيها نسبة لا بأس بها من السيطرة والتكيف والاندماج العلمي والاجتماعي المدني وكانت تسير نحو الاكثر سيطرة وسيرة علمية ومهنية جيدة ، وكما ذكرنا انفا اعلاه ، واليوم وبعد كل الذي جرى وما اصابت الجامعة كيف لنا ان نعيد الامور الى نصابها ؟؟

في ظل التغييرات التي حصلت في نينوى بشكل عام وفي مؤسساته وبضمنها الجامعة بشكل خاص يدفعنا إلى التأكيد بأننا مجتمعاً ومؤسسات بحاجة الى وسائل واليات من شأنها تسهيل مهمة الاصلاح الاجتماعي والنفسي وبضمنه الاصلاح التربوي والثقافي في ظل انتشار ايدولوجيات وثقافات بعيدة عن واقع وافكار المجتمع العراقي التي سببت في زحزحة الأطر الضبطية عن الافراد ومن سلوكياته التربوية والاجتماعية .

ومن الاليات والوسائل التي يمكن اعتمادها داخل الجامعة :

الوسائل والآليات والأنشطة المقترحة :

اولاً : تشكيل لجنة عليا ذات ومن ذوي الاختصاص بالتمكين وخاصة بمكافحة الفكر التطرفي مرتبطة مباشرة بالسيد رئيس الجامعة لوضع الخطة الرئيسية والفرعية لتنفيذ المشروع

ثانياً : مفاتحة وزارة التعليم والبحث العلمي العراقية بإسناد ودعم بأقسامها التخصصية لهذا النشاط ومتابعته يناط الى هذه اللجنة ما يأتي :-

- وضع برامج من شأنه تأهيل الطالب من الناحية النفسية .

- توجيه الطلاب نحو الإيجابية في موضوع التلاقي مع الآخرين .

- توجيه المجتمع الطلابي في الانضواء تحت عنوان الطالب الجامعي .
- إبعاد الطالب عن التيارات المتطرفة والموجهة بشكل سلبي .
- إعادة صورة الجامعة وأهميتها وهيبته وفاعليتها الى ما كانت عليه من قبل .
- ردم الفجوة الزمنية والفكرية التي حصلت اثناء فترة النزوح بين مكونات الجامعة عموماً والطلاب خصوصاً من جهة , والجامعة والمجتمع من جهة أخرى .
- توجيه جزء من محاضرات حقوق الانسان والديمقراطية نحو قبول الآخر ومكافحة ونبذ فكر التطرف .
- تنظيم محاضرات توعية لبث ثقافة الحوار ونبذ الفكر التطرفي داخل أروقة الجامعة .
- تفعيل الانشطة الطلابية الجماهيرية بشكل يجمع كل طلاب الجامعة وبشكل دوري ومبرمج وموجه .
- عمل مجاميع (فوكس كروب ) بين الصفوف الجامعية .
- طباعة بروشورات بإشراف قسم الاعلام وإعلام الجامعة الرسمي يوضح أهمية الفكر المعتدل .
- تنفيذ حلقات إذاعية بإشراف اعلام الجامعة .
- تسجيل برامج تلفزيون .
- تفعيل رسائل اس ام اس من خلال مرشدي الصفوف وممثلي المراحل .
- توجيه مرشدي الشعب من خلال محاضرات مركزية بنقل اهداف المشروع الى اقرانهم .
- تشخيص الافكار الحالات والظواهر الشاذة بين الطلاب والتي تتعلق بأفكار التطرف ومعالجتها بطرق نفس اجتماعية .
- الاستفادة من موقع الجامعة الرسمي في نقل رسائل نبذ التطرف والدعوة الى السلام .
- تفعيل التعاون مع كليات التربية الرياضية في تنظيم مسابقات ودوريات تصب في موضوع تفرغ طاقات الشباب وتوجيه امكانياتهم .
- تفعيل دور كلية الفنون في تنظيم انشطتها الفنية بشكل مكثف وموجه نحو تحقيق الأهداف اعلاه .

- تفعيل دور الاخصائي الاجتماعي ( قسم علم الاجتماع ) والنفسي ( قسم علم النفس ) في تحقيق الاهداف المرجوة اعلاه .
- تفعيل التعاون مع منظمات المجتمع المدني المجازة رسميا في ممارسة أنشطة تخدم البرنامج العام ضمن الضوابط والأصول المتبعة من قبل رئاسة الجامعة .
- متابعة الاقسام الداخلية للطلاب بشكل دقيق وبما يتعلق بأفكار التطرف من كل نواحيه.
- ثالثا : إلزام وزارة التربية العراقية بتبني الموضوع على المستوى الوطني .لان الذين سيقبلون في الجامعة تباعا يحتاجون الى برامج وبما يتلاءم مع اعمارهم وبيئاتهم التربوية والاجتماعية .
- واجبات الجامعة لحماية طلبتها :
- تحمل الجامعة ( الموصل ) عبئ الحفاظ على طلبتها من الأفكار المتطرفة .
- تأهيل اكبر عدد ممكن من الطلبة ( الموصل) الذين عاشوا فترة من الزمن بين وتحت سيطرة الجماعات المسلحة .
- رفع المستوى التعليمي للطلاب الجامعي ( الموصل ) من خلال ايمانه بأولوية التعلم والنجاح .
- توجيه الأنظار الإقليمية والدولية والمحلية لتقديم خدماتها لأبناء المجتمع في الجامعة بشكل خاص ومجتمع نينوى بشكل عام.
- ثامنا : قياس الأثر ( المتابعة والتقييم / الاطمئنان ) :
- انطلاقاً من أهمية المؤسسة التعليمية في المجتمع من حيث تأثيرها وتأثيرها على المجتمع فان اصلاح هذه المؤسسة تعدّ نقطة انطلاق مهمة إلى اصلاح المجتمع , ان البرامج التي تحققها الجامعة في الاصلاح سوف يعكس بظلالها على المجتمع وعلى عديد المؤسسات الاجتماعية الاخرى على المدى القريب مثل الاسرة وعلى المدى البعيد طبقا لمخرجات الجامعة من افراد متعلمين وذي توجهات مدنية بحتة .
- إنَّ إعطاء الاهمية الى الجامعي في تحقيق الاصلاح الفكري والتربوي سوف يكسب المجتمع الرصانة في التفكير المعتدل انطلاقاً من أهمية الجامعة لأنها تمثل المركز الاشعاعي التربوي والفكري التنويري .

إنَّ البرامج التنويرية في الجامعة وما يلقن الطالب وما يكسبه من أفكار إصلاحية سينتقل بشكل طبيعي الى خارج الجامعة بضمنها الأسرة والبيت والمحلة والسوق ... ممَّا يساهم بشكل فعال في التنوير ومكافحة التطرف .

إنَّ الخطط والبرامج الموضوعية والمحقة ستشكل خط عمل واضح وأمين نحو الاصلاح ومكافحة التطرف ذلك لإيمان المجتمع بأهمية المؤسسة التربوية وضمانتها الوحيدة لأجيال المجتمع القادمة والمستقبلية وعليه من الاهمية ما كان التمسك بوجود الهيكلية البحثية الاجتماعية في المؤسسة التربوية من خلال خطوات علمية بحتة وبالشكل الذي تحقق الضمانة والاستمرار في توجيه الفكر الثقافي للطالب وقيادته نحو الامان ووضعه في سكتة العلمية والثقافية العراقية الحقيقية وبالشكل الذي يبعده عن الافكار المتطرفة والدخيلة من خلال خطوات منهجية منها : الاستبانات / المقابلات الفردية /دراسة حالة الاستمارة استطلاعية .

*The Civilian empowerment in Iraqi Society*  
*A Descriptive Vision in the sociology of Restoring the Civilization*  
*University student after ISIS:*  
*University of Mosul as a case study*  
**Asst.Prof.Dr.Jassim Hassan Rashid**

• **Key words : empowerment , Civilian 'student**

**Abstract**

The control of extremist ideology groups of some parts of Iraqi society in general and People in Nineveh Governorate in particular after June 2014, is a real disaster. The University of Mosul has its share of this brutal control. They have completely looted and disrupted it from doing its civil and human duties, completely isolated it from its national and local surroundings, burned its scientific memory treasure, and turned some of its departments and laboratories into a terrifying and killing place.

At the center of university capital and education, there must be constructive participation in putting forward some ideas and mechanisms that can limit curb such extremist ideology and

behavior in the society in general and at the university (Mosul) in particular.